دور الأقليات في العراق منذ القرن التاسع عشر (١٩٤٤ - ١٩٤٥)

م.م. اركان هادي وردي

Arkan Hadi @Gmail.com

مديرية تربية بغداد الكرخ الاولى

الملخص

يركز هذا البحث على معرفة دور الأقليات في العراق منذ القرن التاسع عشر، والتعرف على تأثيرها المجتمعي، من حيث تأثيرها على الأوضاع السياسية والانتماء الوطني. وتوصلا للبحث إلى ان وجود الأقليات في المجتمع العراقي يرتبط بتهديد أمن الدولة العراقية قديماً وحديثاً ، بجميع أنواع التهديد والجرائم ضد أمن الدولة. وترتبط هذه الأعمال بأوقات ضعف الحالة الوطنية كوجود احتلال أو ضعف إدارة الدولة. وقد ازدادت أحداث الفتنة والتهديد لأمن الدولة وتتابع وتواترت في الوقت المعاصر.

كلمات مفتاحية: الاقليات، الدور، العراق، الهوية، الاوضاع السياسية ، القرن التاسع عشر.

The role of minorities in Iraq since the nineteenth century (1944 – 1945)

M. M. Arkan Hadi Wardi

Baghdad Al-Karkh First Directorate of Education

Abstract

This research focuses on knowing the role of minorities in Iraq since the nineteenth century, and identifying their societal impact, in terms of their impact on political conditions and national identity. The research concluded that the presence of minorities in Iraqi society is linked to threat securities at Iraqi state in the past and in the present, with all types of threats and crimes against the security of the state. These actions are associated with times of weakness in the national situation, such as the presence of occupation or weak state administration. Incidents of sedition and threats to the security of the state have increased, continued, and become more frequent in the contemporary era.

Keywords: minorities , role , Iraq , identity , political stability , the nineteenth century.

مقدمة:

إن قضية الأقليات عالمية بمعنى أنها لا تقتصر على أي بلد أو قارة معينة ، فهي ليست جديدة، ولكنها قديمة وحديثة ، وفي الوقت نفسه ، لما لها من صلة بالعديد من القضايا ، فهي جديدة بسبب التصريحات المستمرة للتحليل السياسي ، وأهمها عدد كبير من الأقليات. هناك عدم استقرار سياسي في البلاد. لا تزال الأقليات في سياق تنوع المجتمعات معضلة خطيرة في الوضع الوطني، تتميز بالخطورة ، حيث يصر سكان الدولة على تصنيف أنفسهم كمجموعات مختلفة.

وتصبح قضية الأقليات أكثر تعقيدا عندما يتعلق الأمر بعواقب هذه القضية ، كما لو أن من هم في السلطة قلقون بشأن مستقبل جزء من المجتمع. فهي قضية المجتمع ككل ، والبحث عن آليات لتحقيق الانسجام في المجتمع لا يقتصر على ممثلي الأقليات ، بل هو قضية حساسة ، ولكن من الضروري توحيد ، وربط اليدين ، وإيجاد الطريق الصحيح لهم وتحقيق التكامل الاجتماعي بين ممثلي الأغلبية والأقلية.

ومنذ أوائل التسعينيات اكتسبت القضية العالمية للأقليات أبعادا ملحوظة، والتي تصاعدت بشكل حاد، وأكدت نفسها بقوة وجذبت الانتباه بسبب التقدم الجاد الذي تحقق في العالم خلال هذه الفترة واعتماد إعلان حقوق الأقليات في جميع أنحاء العالم. في العالم العربي ، هناك العديد من الأقليات العرقية والطائفية والدينية في معظم الوطن العربي ، ومن الطبيعي أن يتردد صدى الأحداث العالمية في الوطن العربي ، ونشأت العديد من المشاكل ذات الصلة ، والتي أصبحت قضية خطيرة لهذه الدول. كما أن بعضها شكل تهديدا أمنيا كبيرا، وأن هذه المشاكل التي نشأت في العديد من الوطن العربي لم تعطي اهتماما واسع النطاق، كما هو الحال في الدول الغربية والعربية على حد سواء.

يعد العراق إحدى دول الشرق الأوسط التي احتضنت العديد من اقلية ذات الطابع الديني والعرقية والقومية منذ آلاف السنين. وهم أحفاد سكان بلاد ما بين النهرين الأصليين، مثل المسيحيين والإيزيديين والصابئة المندائيين والشبك وغيرهم. وينتشرون في شمال ووسط وجنوب العراق، وغالبيتهم في محافظات بغداد ونيوى وكركوك. والبصرة . شهدت أقليات العراق بعد أحداث ٢٠٠٣ حملات عنف وتهجير وتغيرات جغرافية وطمس هوية وتشويه مقصود وغير مقصود أو إهمال وموجات تهجير، ألحقت

ضررا كبيرا بوجودهم وموقعهم وغيرت وجههم. والطابع الديموغرافي لمناطقهم، خاصة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣. مشكلة البحث:

قضايا الأقليات جزء من المجتمع العراقي في ضوء التغييرات سياسا واجتماعيا واقتصاديا وثقافي، التي حدثت في العراق منذ عام ٢٠٠٣، وهي واحدة من المؤشرات الرئيسية لدرجة الاعتراف والإيمان بالتنوع والتعددية، أو العكس. وتتبع قضية الأقليات أيضا من كونها معضلة نمطية، تعتمد على أساس جميع معلوماتنا وخبرتنا، ولكنها تحدد أيضا شخصية الافراد وكيفية ارتباطهم بالقضية، وكذلك طبيعة العلاقات بين المجموعات المختلفة وأدوارها الاجتماعية. في مجتمعات الأزمات، تلعب اقلية ذات الطابع الديني أو العرقية أو الثقافية المختلفة عادة دورا بارزا في المجتمع، مما يؤدي إلى تعميق الاختلافات وتجاهل التقارب وممارسة تأثير أكبر على المستوى الاجتماعي، حيث يتم استخدام الأقليات كذريعة لتحقيق المصالح الخاصة ومحاولات إخفاءها عن الخريطة العرقية للمجتمع العراقي. ظلت قضية الأقليات العرقية غامضة ومبهمه، حيث لم يولي الباحثون اهتماما كبيرا بها، لا سيما بتطور هذه الأقليات منذ القرن ١٩، لذلك نشأت فكرة هذا البحث لمعرفة تاريخ اقلية ذات الطابع الديني والعرقية في العراق ودورها في المجتمع العراقي. وينعكس كل هذا في طبيعة استقرار المجتمع، ويمكن تلخيص مشكلة البحث التساؤل الرئيسي التالي: ما دور الأقليات في العراق منذ القرن التاسع عشر؟

هدف البحث:

يتمثل الهدف الرئيسي للبحث الحالي في التركيز على دور الأقليات في العراق منذ القرن التاسع عشر، والتعرف على تأثيرها المجتمعي، من حيث تأثيرها على الاوضاع السياسية والانتماء الوطني.

منهج البحث:

تم اختيار المنهج التاريخي للاعتماد عليه في هذا البحث، حيث يستخدم هذا المنهج في الدراسات التاريخية لعرض الأحداث التي حدثت في فترة زمنية معينة بهدف تحليلها للوصول إلى فهم أدق وأعمق لهذه الأحداث. ومن خلال هذا المنهج اعتمد البحث على تحليل التطورات التاريخية التي مرت بها الاقلية العراقية منذ القرن التاسع عشر.

المبحث الاول الاطار النظري حول الاقليات :

نتيجة للأثر الكبير للصراعات الدينية والطائفية التي انتشرت عبر تاريخ المجتمع العراقي ، يتعرض الأشخاص المنتمون إلى أقليات دينية وعرقية ولغوية باستمرار للعنف والاضطهاد من قبل مجموعات أخرى تمثل غالبية السكان ، فضلا عن أشكال الاضطهاد الاجتماعي التي تتعرض لها الأقليات،بالإضافة الى المعاملة السيئة والاستبعاد من الحياة السياسية او الثقافية.وفي الحالات الاسوء،تعرضت اقليات بشكل جماعي الى اعتداء جسدي او اجتماعي كما حصل مع الايزيديين في سنجار والتركمان في تلعفر،بالإضافة الى المسيحيين والشبك وغيرهم من الاقليات.

وبالنظر إلى أن كل هذه الظروف وغيرها هي واحدة من المشاكل التي لا يمكن السيطرة عليها والتي تجعل الأقليات تسبب الحروب والكوارث في أجزاء كثيرة من العالم ، ولا تزال واحدة من المشاكل التي تصاحب ظهور العراق في ظروف انتشار الاستبداد والتعسف ، وإنشاء الأنظمة الاستبدادية ، وانعدام الديمقراطية وعدم احترام مبادئ الامتثال لحقوق الإنسان ، ودور الأقليات في العراق منذ القرن ١٩ ، كما أنها مصدر إلهام لكثير من أشهر الفنانين في العالم. العراق أمة متعددة الجنسيات ومتعددة الأعراق ، تتميز بمجموعة متنوعة من الأديان والمعتقدات ، وليس لها هوية وطنية واحدة.

المطلب الاول: مفهوم الاقليات

ان مفهوم الأقليات هو أحد المفاهيم التي تسرد الاختلافات الكبيرة بين المؤلفين والباحثين المحترفين في تحديد مفاهيم دقيقة وواضحة ، نتيجة تنوع التعاريف المختلفة المستخدمة لتحديد إطار واضح لهذا المفهوم (الأقليات) من وجهات نظر مختلفة ، ومعظمها تعاريف الأقليات في العالم تحتوي على مفاهيم محددة محددة. نظرا لأن هذا المفهوم يتضمن فئة تعيش في موقع جغرافي معين أو يتم توزيعها حسب مناطق ومدن البلد ، ظهرت عديد التعريفات التي سعت إلى النظر في هذا المفهوم من جميع الجوانب المتعلقة به.

مفهوم الاقليات على اساسالعدد: يشير هذا المفهوم عموما إلى الأقليات فقط على أساس حجمها ومجموع سكانها. وفقا لهذا المفهوم ، الأقليات هي مجموعات صغيرة داخل عدد أكبر من السكان يشكلون غالبية السكان(١).

وتجدر الإشارة إلى أن هذا التعريف يركز على حجم الظاهرة من احصائياورقميا، عندما يتعلق الأمر بالأقليات.من ناحية أخرى ، لا يغطي المفهوم بعض الجوانب (النوعية) للأقليات ، مثل

(١)يوسف، اسماء جابر احمد،حقوق الاقليات المسلمة في اسيا عن المواثيق الدولية ومعطيات الواقع، مكتبة

العلاقة بين أقلية ومجموعة أغلبية أو درجة السيطرة عليها ، أو سيطرة الأقلية على الأغلبية ، مثل تحكم اليهود في مراكز التسوق الأوروبية أو سيطرة البيض على السود.

مفهوم الاقليات على اساس الاضطهاد أو عدم الهيمنة:

وبدلاً من التركيز على الإحصاءات أو عدد ممثلي الأقليات في مجموعة الأغلبية ، فإنه يركز على جوانب معينة: درجة ضعف وعزلة معظم مجموعات الأقليات كأقليات ضعيفة في المجتمع. شريطة أن يكون هذا الاستثناء ذا طبيعة سياسية ، اقتصادياً أو اجتماعياً. وقد تعرض هذا المفهوم لانتقادات شديدة لعدم وضوحه ودقته بسبب سعيه إلى تعريف حقوق الأقليات ونطاقها في القوانين والديساتير ، بما في ذلك دستور العراق ، وبالتالي ليست كل الأقليات فئات ضعيفة (١).

مفهوم الاقليات على اساس العدد والاضطهاد معا:

بسبب الانتقادات القاسية الموجهة إلى التعريفين السابقين لمفهوم الأقليات ، حاول المحامون والباحثون وعلماء الاجتماع الجمع بين الفكرتين السابقتين بأن الأقليات المقابلة لهذا التعريف تمثل مجموعات صغيرة بين الأغلبية التي تمارس التحرش والعنف والعزلة ثقافياً ، اقتصادياً ، سياسياً ، أو اجتماعياً (٢).

مفهوم الاقليات على اعتبارها جماعة اجتماعية:

تعرف الأقليات العرقية أيضاً بأنها "مجموعات صغيرة ضمن مجموعة سكانية كبيرة" يتمتع أعضاؤها بروابط دينية وعرقية ولغوية وحتى ثقافية تميز هذه المجموعة عن غالبية السكان ، ويشجعهم أعضاء المجموعة على الحفاظ على هذه الروابط (٣).

تعرف الموسوعة الأمريكية الأقليات على أنها مجموعة من الأشخاص الذين يكون وضعهم الاجتماعي أقل مما هو عليه في المجتمعات الأخرى والذين تكون قوتهم أضعف من قوة المجموعة المتحكمة بالمجتمع. كما تتمتع الأقليات بحقوق أقل من الأغلبية (٤).

المطلب الثاني: تصنيفات الاقليات

(١) المادة (٢/ثانياً) من الدستور العراقي النافذ لسنة ٢٠٠٥.

(٢) النوري، قيس، اثنياتو اقلية العالم : رؤى اثربولوجية دراسة في مشكلات الاثنيات والاقليات في العراق، بيت الحكمة للنشر، ط١، العراق، ٢٠١٢، ص ٢٥.

(٣) علي، لقمان عثمان احمد، حقوق الانسان بين العالمية و الخصوصية: الخطاب الاسلامي انموذجا، رسالة ماجستير جامعة الموصل، ٢٠٠٣، ص ١١٧- ١١٨.

(٤) عبدالعاطي، صلاح، الاقليات وحقوق الانسان في المجتمع الدولي، مقال في الحوا والمختدة، عدد ٩، ٢٠٠٩، ص ١٧.

تختلف الأقليات في النوع والهوية والانتماء. للأقليات أيضا تسميات مختلفة ، مثل المجموعات والطوائف والتجمعات والأسماء الأخرى ، والتي غالبا ما تشير إلى جذور الأقليات وأصلها ، والهوية الاجتماعية والثقافية ضمن مفهوم الأقليات.

وهناك أنواع متعددة، منها: الأقليات العرقية، والدينية، واللغوية، والطائفية، والقبلية، والثقافية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وأقليات قومية متعددة الجذور. وتعد الأقليات ذات الطابع الديني الطائفية في العراق هي أكثر أنواع الأقليات وضوحًا في العالم وتمثل معظم الصراعات العرقية بين الأقليات والأغليات في دولة ما.

وسنتطرق فيما يلي اهم الاقليات الاكثر تواجدا في المجتمع العراقي، وهي :

الاقليات الاثنية:

هناك اتجاهات عديدة لتفسير معنى كلمة "أقليات" ، بعضها يشير إلى مفهوم العرق ، والبعض الآخر يشير إلى فرع من الدولة أو مجموعة من الدول ، ويؤسسون ذلك على عدد من المواثيق الدولية^(١)، وفقا لهذه المعاهدات الدولية ، فإن مفهوم "الأقليات العرقية" مرادف للأصل العرقي^(٢).

وهناك عدد من العناصر، التي تحدد مفهوم هذه الأقليات يتم تحديدها من خلال مجمل العوامل التاريخية والجغرافية والوراثية والأنثروبولوجية ، وفي هذا الصدد ، جادل المحامي (بلافسكي) بأن الأقليات هي مجموعة وطنية مماثلة لبلد ما^(٣).

الاقليات اللغوية:

هي الأقلية الذين يكون بينهم يتواصل أعضاؤها مع بعضهم البعض بلغة خاصة توحدهم^(٤)، وتجدر الإشارة إلى أن اللغة من أهم أدوات التفكير والثقافة ، وهي وسيلة للتواصل مع الناس حول العالم ، وعنصر فعال في تنمية التفكير والثقافة ، وأن بعض الدول تدرج اللغة في دساتيرها ، مثل العراق في دستور ٢٠٠٥^(٥).

اقليات ذات الطابع الديني:

نشأ الاهتمام الحقيقي بمثل هذه المجموعات بعد الحرب العالمية الأولى واشتد بعد الحرب العالمية الثانية ، عندما تعرض اليهود لسوء المعاملة الممنهجية ، ظهرت قوانين ومؤسسات

(١) المادة (٢) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان سنة ١٩٨٤، والمادة (٢٦) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لسنة ١٩٦٦

(٢) بكة، سوسن تمرخان، الجرائم ضد الانسان في ضوء احكام النظام السياسي للمحكمة الجنائية الدولية، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، ٢٠٠٦، ص ٤٩٨.

(٣) حجازي، عبدالفتاح بيومي، المحكمة الجنائية الدولية، دارالفكر الجامعي للنشر، مصر، ٢٠٠٥، ص ٣٤٥.

(٤) يوسف، اسماء جابر، مرجع سابق، ص ١٣١

(٥) نصت المادة (٤/أولا) : اللغة العربية واللغة الكردية هما اللغتان الرسميتان للعراق

تحمي حقوق الأقليات في العالم ، واقليات ذات الطابع الديني هي مجموعات تؤمن بالأفكار والمعتقدات الروحية ، بغض النظر عما إذا كانت مرتبطة بالله والدين السماوي(١).

الاقليات الثقافية:

تشير الاتفاقية الدولية للأقليات الثقافية إلى أن هذه مجموعة مشتركة ، بما في ذلك الأقليات العرقية أو اللغوية أو الدينية(٢). حيث ان الثقافة هي الرابط بين أعضاء هذه المجموعة ، المسؤولة أحيانا عن بروز التعصب ، مما يشير إلى المشاركة النشطة للأقليات الثقافية في القيم أو المعتقدات الدينية أو المواقف الاجتماعية للمجموعة. الثقافة احد انماط السلوك تنتقل فيه المعتقدات والعادات من جيل إلى آخر ، على سبيل المثال ، تقام احتفالات خاصة بالأعياد والمناسبات الدينية أو الوطنية كل عام(٣).

المبحث الثاني

الاقليات العراقية عبر التاريخ:

في منتصف القرن ١٩ ، سيطر المجتمع العراقي على الصراع المستمر بين الطوائف الكبرى، وتدخل القوى الأجنبية مثل تركيا وإيران أعطى الصراع أهمية أكبر ، وهذا الوضع منع ظهور الهوية العربية والوطنية في العراق ، ولكن بحلول عام ١٩٢٠ كانت هذه الطوائف بمثابة جولة جديدة من التنمية. وحدة ثورية وطنية أعادت هيبة العراق(٤).

وفي حين أن الطائفية القديمة تختلف عن الطوائف الحديثة في أن الطوائف القديمة كانت في الغالب عفوية وعادلة ومثلت وسيلة للمسلمين لأداء واجباتهم الدينية ، نشأت الطائفية العراقية الجديدة من التيارات السياسية والاجتماعية البعيدة عن أي فكرة أو ارتباط ديني(٥). وفي بداية القرن ٢٠ ، كان العراقيون لا يمثلون شعبا واحدا أو جماعة سياسية، حيث كان هناك عدد من

(١) يوسف، اسماء جابر، مرجع سابق، ص ١٣١

(٢) نصت المادة (٢٢١) من اتفاقية الأشخاص المنتمين الى اقلية قومية اثنية والى اقلية دينية ولغوية لسنة ١٩٩٢.

(٣) احمد، صبيح مجيد عبدالمنعم، الانسانية وطبيعة البناء الاجتماعي للمجتمع العراقي ، بيت الحكمة للنشر، ط١، بغداد، ٢٠١١، ص ٢٥٠.

(٤) نظمي، وميض جمال عمر، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٩٨٥، ص ١١٩.

(٥) المرجع السابق، ص ١٤٣.

الأقليات ذات الطابع العرقية والديني في العراق ، بما في ذلك الفرس ، الكلدان ، اليزيديين ، اليهود ، الصابئة ، الأرمن ، الآشوريين ، وآخرين غيرهم(١).

المطلب الاول: الاقليات العراقية في القرن ١٩

خلال حكم المماليك في العراق في القرن ١٩ ، حتى عام ١٨٣١ ، تفاقمت مشاكل الأقليات ، وخلال حكمهم لم يتمكنوا من إنهاء الخلافات الداخلية ، ولكن اشتدت المؤامرات بين الإخوة والأقارب ، وقتل الكثير منهم ، وبدا أن العلاقة بينهم علاقة نظام ، وليست علاقة ولاء (٢). كان تأثير الأوروبيين في البلاد كبيرا لدرجة أنه سمح للمندوبي فرنسا وبريطانيا بالتدخل في الشؤون الوطنية وحتى التدخل في تعيين المحافظين وإقالتهم(٣). بالإضافة إلى ذلك ، هناك خطر جديد يهدد سيطرة المماليك والإمبراطورية العثمانية في العراق ، أي انتهاك سيطرة المماليك وإضعاف قوتهم ونفوذهم في العراق، الا وهو الخطر الوهابي(٤).

ونتيجة لهذا كله ، تدهور الوضع العام في العراق خلال فترة حكمه ، لذلك بدأت الحكومة العثمانية في اسطنبول تفكر بجدية في إنهاء حكمها في العراق واستعادة السيطرة المباشرة على العراق نظرا لأهميته الاقتصادية الهائلة للشعب العثماني. كان العراق في حالة حرب مستمرة ، خاصة مع الدول المجاورة ، لذلك تلقت الدولة العثمانية الكثير من الأموال لتغطية احتياجاتها الداخلية والخارجية، بالإضافة إلى موقعها الجغرافي(٥). وهكذا ، أعلن محمود الثاني، سلطان الإمبراطورية العثمانية (١٨٠٨-١٨٣٩) عن تعيين علي رضا باشا اللارز حاكما جديدا لبغداد بعد عزل السوالي داود باشا ، آخر حكام المماليك، في وقت كانت بغداد تعاني فيه من خطر الفيضانات وانتشار الأمراض المعدية والأمراض الخطيرة(٦).

وشملت الأقلية الدينية في العراق في القرن ال ١٩ مختلف الجماعات العرقية والدينية. المسيحيون والكلدانيون والآشوريون والأرمن والتركمان والأكراد والشركس واليهود

(١)بطاطو، حنا، العراق : الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ج١، ط١، ١٩٩٠، ص٣١.

(٢) فائق، سليمان، تاريخ بغداد، ترجمة. نورس، موسى كاظم، بغداد، ١٩٦٢م، ص ٩٤-٤٨.

(٣)اداموف، الكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة. التكريتي، مؤسسة هاشم صالح، ج ٢ ، البصرة، العراق، ١٩٨٩م، ص ١٤٠-١٥٠.

(٤)الاعظمي، علي ظريف، مختصر تاريخ بغداد، مكتبة بغداد، ١٩٢٦م، ص ٣٠.

(٥) بكنغهام، جيمس، رحلتي الى العراق، ترجمة. التكريتي، سليم طه، ج ٢ ، مكتبة بغداد، ١٩٧٠م، ص١٣٦-١٣٧.

(٦) عز الدين، يوسف، داود باشا ونهاية حكم المماليك في العراق ، مكتبة بغداد، ١٩٦٧، ص ١٢-٣٠.

واليزيديون والشبك والكاثوليك الذين يمثلون أهم الأقليات غير العربية في البلاد ،
والمجموعات العرقية الأخرى(١).

وفيما يلي تعريف امثلة على الأقليات التي يمتد تاريخها في بلاد العراق:
التركمان:

يعود تاريخ الاستيطان التركماني في العراق إلى عام ٥٤ هـ. أطلق اسم "التركمان" على الأتراك في العراق. يعيش معظم التركمان في كركوك وأجزاء من شمال العراق. إنهم مسلمون ويحافظون على علاقات جيدة مع العراقيين العرب(٢).
المسيحيون:

للمسيحيين في العراق هوية دينية متجانسة ، لكن هذه الهوية تظهر صورة أكثر تعقيدا وثرأ ، حيث يمكن تعريف هويتهم على أسس عرقية وطائفية. هم متنوعون عرقيا ، من بينهم مسيحيون: الأرمن والكلدان والآشوريون وغيرهم. وفقا للطائفية ، يتم تقسيمهم إلى مسيحيين: الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت والإنجيليين(٣).
الآشوريون:

هؤلاء هم الساميون الذين استقروا في الجزء الشمالي من العراق من الألفية ٣ قبل الميلاد. تم تسمية الآشوريين على اسم عاصمتهم القديمة ، آشور ، الواقعة على نهر دجلة ، على اسم إلههم. ظهر الآشوريون كقوى متنافسة في ساحة أحداث الشرق القديم في بداية الألفية ١ قبل الميلاد ، عندما تمكن ملكهم "أداد نيراري الثاني" من غزو الأراضي المجاورة والدخول في تحالف مع بابل. منذ عهد هذا الملك ، سجل الآشوريون أخبارهم بطريقة تعرف باسم "أرام" ، وبدأت مع تولي الملك العرش، ومن أشهر ملوكهم آشور ناصر بال الثاني(٤).

يطلق على الآشوريين الآن أبناء الكنيسة الآشورية القديمة في الشرق والكنيسة الرسولية الجثمانية القديمة. يتحدث الآشوريون الآشورية الحديثة ، والمعروفة أيضا باسم السريانية في أدب الكنيسة ، والتي كانت تستخدمها الكنيسة الشرقية ، والمعروفة باسم السريانية(٥).
الكلدانيون:

الكلدان الحديثون هم من نسل السكان الأصليين لبلاد ما بين النهرين ويتحدثون الآرامية. تبنى أسلافهم الدين المسيحي في القرن الأول بعد انتشاره. وكنيستهم ، الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية،

(١) ناجي، زيد عدنان، اقلليات العراق في العهد الملكي، درا الرافدين للطباعة، بيروت، ٢٠١٥، ص ٢١-٤٠.

(٢) صالح، زكي، موجز تاريخ العراق، ط ١، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٤٩، ص ٦٦.

(٣) نوار، عبد العزيز سليمان، داود باشا والي بغداد ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٤٨-٥٥.

(٤) اسحاق، رفائيل بابوا، تاريخ نصارى العراق، ط ١، مطبعة المنصور، بغداد، ١٩٤٨، ص ٥٦.

(٥) سلوم، سعد، الاقلليات في العراق الذاكرة الهوية التحديات، ط ١ ، مكتبة بغداد، ٢٠١٣، ص ٣٩.

إلى جانب الكنيسة الكاثوليكية في روما، هي الوريث الشرعي لكنيسة بلاد ما بين النهرين القديمة ، وكنيسة الشرق ، والكلدان الذين يعيشون في الجزء الجنوبي من العراق على الضفة اليمنى لنهر الفرات (١).

الصابئة المندائية:

هم أقدم مجموعة عاشت في بلاد ما بين النهرين ، دينهم من أقدم الديانات الروحية في العالم ، هم من الشهادات الحية لحضارة بلاد ما بين النهرين التي عاشت في العراق منذ عدة عقود ، ودينهم موجود حتى يومنا هذا. يبلغ السكان السوريين في العراق نحو ٢٠ مليون نسمة ، وتعود جذورهم من أسلاف العرب إلى الشعب الآرامي (٢). يعيش الصابئون في بغداد والعمارة والبصرة والناصرية والكويتا وديالى والديوانية ، على ضفاف الأنهار ، وخاصة نهر دجلة ، ويتحدثون لغتهم الأم ويشتهرون بمهاراتهم في المهن الحرة والحرف اليدوية مثل الحدادة والنجارة والتطريز وصناعة القوارب وغيرها من السلع اليدوية. الآلات الزراعية وغيرها من المهن (٣).

اليزيدية

يعيش اليزيديون على جبل سنجار في شمال العراق ، وينتمون إلى دين قديم ، وينتمون إلى يزدان هو أحد أسماء الآلهة التي يعبدونها ، وينتمي بعضهم إلى الأرض المقدسة في شمال العراق تسمى يزدوم ، ويعزوه بعض المؤرخين إلى اللغة السومرية ، وكلمة "عزيدة" محض خير في السومرية. يسميهم بعض عبدة الشيطان ذلك لأنهم يعتقدون أن أبلّيس هو أحد الملائكة، بل هو رئيسهم (٤). وقد تعرض الأكراد اليزيديون للاضطهاد من قبل الإمبراطورية العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني. يعتبر عدي بن مسافر ، الذي عاش في القرن ١٢ الميلادي ، أهم سلطة لهم ، وتنسب إليه القداسة العظيمة. بالنسبة له، هو مسلم صوفي شافعي ، ولكن حتى لو تأثر الأيزيديون بشدة بالصوفية ، فإن ما يعنيه قد يكون أكثر تشددا (٥).

اليهود: في عهد المماليك ، الذين حكموا بين عامي ١٧٥٠ و ١٨٣١ لمدة ٨٠ عاما تقريبا ، لم يتأثر الوضع الاجتماعي والاقتصادي لليهود ، ولم يتمتعوا فقط بحرية الدين وبدأوا في أداء جميع الطقوس بحرية وأمان ، ولكن كان لديهم أيضا وضع اجتماعي واقتصادي ، كان معظمهم

(١) الخيون، رشيد، الاديان والمذاهب بالعراق، مكتبة بغداد، ١٩٩٥، ص ١٣٤-١٧٢.

(٢) دراوير، الليدي، الصابئة المندائيون، ترجمة: بدري، نعيم. رومي، غضبان ، مكتبة بغداد، ١٩٨٧م، ص ٥٦

(٣) اشلسلبيدي، منذر عبد المجيد، جغرافية اقلية ذات الطابع الديني في العراق ، مكتبة بغداد، ١٩٩٩، ص ٤٥.

(٤) سوسة، احمد، ملامح من تاريخ العراق القديم ، مكتبة بغداد، العراق، ١٩٦٠، ص ٩٤.

(٥) سوسة، احمد، ملامح من تاريخ القديم ليهود العراق، ط ٢ ، د. ن، بيروت، ٢٠٠١، ص ٧٦.

منخرطين في التجارة (١). كانت الأقلية اليهودية في جميع أنحاء العراق أقوى من الأقليات الأخرى ، وكذلك الأمير والمعمور ، من حيث النفوذ والقوة ، مما سمح لهم بالسيطرة على التجارة والأسواق المالية (٢).

كان يهود العراق لهجتهم هي العربية القديمة، والتي تغيرت في عهد هارون الرشيد ، والمعروفة بالعبرية العربية ، بالقرب من لهجات شعبي الموصل وتكريت، وهي لغة بها مزيج من المفردات التوراتية والعبرية والرموز والتركية والفارسية والآرامية، بجانب الإنجليزية في فترة الاحتلال البريطاني. تمت إضافة المصطلحات والعبارات الاوربية (٣).

المطلب الثاني: الاقليات العراقية حديثا

حديثا، اصبح العراق نقطة انطلاق بالنسبة للأقليات الدينية الحديثة مثل البهائيين ، الذين أصبح العراق وبغداد أول نقطة انطلاق لهم ، وعادت الديانة القديمة إلى الظهور هناك ، كما في حالة الزرادشتية ، التي اختفت لقرون قبل ظهور مرة أخرى في اقليم كردستان العراق. وفيما يلي اهم الاقليات التي تواجدت في العراق بداية من القرن العشرين:

الأيديون:

منذ عام ٢٠٠٧ ، لم يبق أيديون في الموصل بسبب العنف الذي قامت به الجماعات المتطرفة. على عكس المسيحيين ، الذين يمكنهم دفع الضرائب للبقاء في منازلهم ، ليس أمام الأيديين خيار سوى التحول إلى دين جديد أو طردهم أو إعدامهم. في عام ٢٠٠٧ ، تم استهدافهم من قبل مسلحي القاعدة المشتبه في قتلهم ٢٣ شخصا على متن حافلة ركاب وتفجير قنبلة في قرية وقتل مئات السكان (٤). ويعتبرهم العديد من المتطرفين عبدة الشيطان ، ويعلن الأئمة المتطرفون صراحة في خطبة الجمعة أنهم سيقتلون إذا رفضوا التخلي عن دينهم. نقول في خطبة الجمعة أن قتل جميع اليزيديين في العراق إذا رفضوا اعتناق الإسلام هو واجب جيد للمسلمين. عن الإمام الملا فرزند. لقد أصبح المتطرفون الأيديون أهدافا مباشرة ، على الرغم من عزلتهم وقلّة أعدادهم. كما ان المجتمع الأيزيدي ضعيف أيضا بسبب توازنهم الديموغرافي الدقيق، فدينهم لا يبيح بتزاوج مختلط مع غير الأيديين.

(١) عبد السلام، غادة مهدي، اليهود في العراق ١٨٥٦-١٩٢٠، ط ١ ، مكتبة المعارف، القاهرة ، ٢٠٠٨، ص ٤٥.

(٢) سوسة، احمد، ملامح من تاريخ القديم ليهود العراق، ط ٢ ، بيروت، ٢٠٠١، ص ٧٦.

(٣) كوريه، يعقوب يوسف، يهود العراق، تاريخهم، احوالهم، هجرتهم، ط ١، الدار الاهلية للطباعة، عمان، ١٩٩٨، ص ٨٧.

(٤) الحيدري، عباس، الحسيني، رعد، الفرقة الزيدية في العراق والمشرق في القرنين الخامس والسادس الهجريين: دراسة في عوامل الإنحسار، مجلة فنون الكوفة، (٥٢)، يونيو ٢٠٢٢، ص ٥٧٩

المندائيون:

لا يقتصر المنديون على عدد قليل من القرى ، بل امتدوا إلى عدة مدن في العراق ، وخاصة بغداد، حتى اندلاع العنف الطائفي في عام ٢٠٠٦. جعلتهم أعدادهم الصغيرة عرضة للعنف الطائفي بين مجموعات كبيرة ، لذلك فروا من البلاد بعشرات الآلاف ، وأولئك الذين لم يتمكنوا من الفرار إلى الخارج وجدوا ملاذاً في أربيل متجهين شمالاً. يقدر عددهم في جميع أنحاء العالم بـ ٧ ملايين شخص ، عاش معظمهم في العراق قبل حرب عام ٢٠٠٣ ، لكن لا يزال هناك أقل من ٥٠٠٠ شخص (١).

المندائيون، مثل الإيزيديين، لا يتزوجون خارج حدودهم وتعتبر معتقداتهم هرطقة من قبل الجماعات المتطرفة التي تهاجمهم. إلا أن المندائيين ليسوا الهدف الوحيد للمتطرفين، بل أيضاً للعصابات الإجرامية التي تقوم بين الحين والآخر باختطاف الأشخاص وطلب فدية، إذ أنهم معروفون بثروتهم بفضل عملوا في تجارة الكحول والمجوهرات والأعمال المربحة (٢).

المسيحيون:

بعد حرب عام ٢٠٠٣ ، واجه المسيحيون باستمرار العنف ، الذي بلغ ذروته مرتين: الأول في عام ٢٠٠٦ ، عندما بلغ العنف في البلاد ذروته ، وفي عام ٢٠٠٨ ، عندما تم إجلاء معظمهم من الموصل إلى أنقرة ومناطق أخرى من كردستان العراق. مثل المندائيين ، كان المسيحيون منتشرين في العراق ووقعوا في مرمى نيران الجماعات المتطرفة والمتنافسة على نطاق واسع. يعيش العديد من المسيحيين ، مثل سكان الموصل ، في ما يسمى "مناطق الصراع" ، وهذا يضيف بعداً سياسياً داخلياً إلى اضطهادهم. في عدة مقابلات ، تحدثوا عن كيفية مهاجمة المسيحيين وقتلهم وإجبارهم على "إظهار الاحترام" ، وفي بعض الحالات تهديدهم حتى بعد دفع الضرائب. حاول معظمهم مغادرة البلاد، وأولئك الذين لم يتمكنوا من العثور على ملجأ في كردستان العراق (٣).

التركمان:

التركمان مجموعة عرقية منفصلة ، ٦٠ ٪ منهم من السنة ، وأقل بقليل من ٤٠ ٪ من الشيعة ، والباقي مسيحيون. مثل مسيحي الموصل ، يقيمون في "مناطق الصراع" ويتعرضون

(١) عبد العليم محمود عبد النعيم يوسف، عقيدة الصابئة المنداية "دراسة تحليلية"، مجلة البيان دراسات قنا ،

المجلد ١٩، العدد ١، ٢٠٢٢، ص ١٦٣-٢٠٩

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) حنا، إطلال سالم، صورة اقلية ذات الطابع الديني في كتابات الاوربيين ابان العهد العثماني مصر والعراق

إنموذجا، مجلة دراسات تاريخية، جامعة البصرة - كلية التربية للبنات، ٢٠٢٢، ص ٢٠٩ - ٢٤٢

لضغوط من عدة مجموعات تحاول الحصول على ميزة سياسية على حساب بعضها البعض. يعيش حوالي ٨٥ ٪ من سكان العراق بالقرب من الموصل وكركوك وأربيل وتلعفر ، بينما يعيش الباقيون في قرى صغيرة ببغداد، مثل تازة خورماتو(١).

حاليا ، المجتمع التركماني في مركز حل احد القضايا السياسية المثيرة للنزاع في العراق - كركوك الغنية بالنفط. بعض التركمان يؤيدون مطالب الأكراد ويريدون أن يصبحوا جزءا من المنطقة الكردية. البعض الآخر يعارضه بشكل قاطع ، خوفا من الاندماج في الهوية الكردية.

الاکراد:

يعتقدون أديان ومذاهب مختلفة فمن الكرد ما هو/ زرادشتي واليزيدي وأهل الحق المؤمنون بتأليه الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب، الثعبانيون، هؤلاء يرون بالثعبان مخلوق شيطاني له علاقة بالالهة (كتومنين) الجهنمية، ومنهم عباد الحمير بالإضافة إلى مذاهب الفقهاء المسلمين المعروفة الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة، وكذلك منهم الشيعة بأطرافها المعروفة. ولا يمكن بأي حال معروفة اعداد ونسب هؤلاء لكون الأكراد يعيش معظمهم في الجبال ويحيى البعض الآخر حياة بدائية لا يؤمنون بمثل هذه الإجراءات التعدادية السكانية، فالإضافة إلى أن هناك تداخل بين دين وآخر الأمر الذي يقف المرء مكتوف الأيدي أمام العامل الإحصائي للسكان(٢).

الأقليات الأخرى:

ومن بين الأقليات التي لم يذكرها ، على وجه الخصوص ، الشبك والبهاية وفيريكولد وما (ياريسان) ، الذين يكون تأثيرهم على هذه الأقليات محدودا ، وبعضهم لا يعيش في ما يسمى "المناطق المتنازع عليها". لكنهم ضعفاء إلى حد على قدم المساواة بالأقليات الأخرى ويلعبون دور متساويا في تشكيل الهوية العراقية أساس قيم المواطنة ، وليس الطائفية. مثل المجموعات الأخرى، يتعرضون للهجوم بسبب انتمائهم العرقي أو الديني.(٣)

المبحث الثالث

دور الاقليات في المجتمع العراقي

(١) علي طاهر الحمود، تركمان العراق: قلق الهوية والاندماج ، مؤسسة فريديش، إيبيرت، عمان، ٢٠٢١، ص ١٦-١٨

(٢) العساف، فايز عبدالله، الاقليات واثرها في استقرار الدولة القومية: اكراد العراق نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الاوسط، الاردن، ٢٠١٠، ص ٤٦

(٣) حمو، طارق، اقلية ذات الطابع الديني العراقية في الدستور العراقي الجديد، مجلة الحوار المتمدن، العدد ١٨٦١ العراق ٢٠٠٧.

ظاهرة التعددية الاجتماعية هي ظاهرة متكاملة للمجتمع البشري ، تعود جذورها إلى تاريخ العلاقات الاجتماعية الإنسانية ، لأن الإنسان شاركها في الحياة واكتشف وجود مجموعات أخرى من الحشد ، وجعلته يشعر بأنه مختلف عن المجموعات الأخرى ، وبالتالي فإن التمايز والاختلاف أمر طبيعي ، وكان ضروريا للإنسان منذ لحظة بداياته.

المطلب الاول: الدور الاجتماعي للأقليات

تمتد بعض قومياتها إلى ما وراء العراق ، وتشكل ترابطا عرقيا معقدا مع الدول المجاورة جغرافيا ، في حين أن النظام السياسي لهذه البلدان هو في الأساس ليس ديمقراطيا ، وتتعارض أيديولوجيا ، لذا فإن تدخل دول الجوار الجغرافي في العراق أمر مستحيل. القرب الجغرافي يهدد الاوضاع السياسية لهذا البلد ويستند إلى العرق. هذا يفتح الطريق للتغيير السياسي على اساس اثني.(١)

وقد ادت ظاهرة الأقليات العراقية المتنوعة دورا هاما في حالات عدم استقرار الاوضاع السياسية، حيث أن هذا التنوع لم ينظم وفقا لمبادئ حق الإنسان ومنطق تسوية الخلافات بالوسائل غير الحربية وحق الجميع في المشاركة. وهكذا ، سعت الدولة دائما إلى السيطرة على الروابط في المجتمع وإقامة التجانس الفائق والتكامل الإلزامي ، والتي تتوفر في أي ظرف من الظروف عندما تضعف قوة السلطة: هذه طريقة إلزامية لخلق الانسجام الاجتماعي والسياسة. لا يوجد توحيد (شبكة من الوسطاء بين الأفراد والحكومة)(٢).

وفي حين أن العراقيين لم يكونوا أفرادا أو جماعات سياسية واحدة ، اي أن هناك العديد من الأقليات ذات الطابع العرقي والديني في العراق، بما في ذلك الأكراد والتركمان والشبك واليزيديين والصابويين وغيرهم من الاقليات، هم أنفسهم ، يشكلون غالبية السكان العراقيين ، لديهم خصائص مشتركة ، لكنهم كانوا يتألفون بشكل أساسي من العديد من المجتمعات المتميزة والمغلقة (٣).

لقد شكل التنوع الديني والوطني أحد مكونات العراق وكان سمة من سمات المجتمع العراقي الحديث منذ قيام الدولة العراقية الحديثة في عام ١٩٢١ ، وهذا التنوع هو أحد عناصر عدم استقرار الاوضاع السياسية ، بسبب عدم التوافق بين مكونات المجتمع نتيجة لغياب الديمقراطية ، مما

(١) البديري،

أياد عايدوالي، التركيب الأثنيوغرافي لسكان العراق وتحليل أثره في بناء الدولة واستقرارها، مجلة القادسية للعلوم الانسانية جامعة القادسية، المجلد ١٣. العدد ١. العراق، ٢٠١٠، ص ١٤٥

(٢) الربيعي، علي حسن، تحديات بناء الدولة العراقية "صراع الهويات ومأزق المحاصصة الطائفية" مجلة المستقبل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية العدد ٣٣٧ لبنان: مارس ٢٠٠٧، ص ٩١.

(٣) بطاطو، حنا، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية" ترجمة: عفيف الرزاز. ط ١ مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٩٠، ص ٣١.

يسمح لهذا التنوع أن يكون عاملاً إيجابياً في استقرار البنية الاجتماعية للعراق. بالإضافة إلى الضعف، أحد مكونات المجتمع، هو عامل إيجابي في استقرار البنية الاجتماعية للعراق. (١). إن تنوع مكونات المجتمع العراقي أمر طبيعي، كما هو الحال في أجزاء أخرى من العالم، لكن المؤشرات تشير إلى فقدان التماسك والانسجام بين مكونات النسيج الاجتماعي، مما أدى إلى حالة من الفوضى وعدم استقرار الأوضاع السياسية، وخلق أنظمة سياسية وثقافية مارست وغرست القيم غير المرغوب فيها، أي ضياع الوحدة الوطنية وانهيار تعليم الدولة وشلل مؤسسات البناء الاجتماعي (٢).

وتبدأ هذه التشكيلات في تبني ونشر الأفكار حول الاختلافات مع بقية مكوناتها، ومع تزايد سلبية السياسات والقرارات الحكومية الموجهة ضدها، يزداد موقفها السلبي تجاهها حتى يكون هناك طلب على الانفصال، حتى تصل هذه السياسات والقرارات إلى درجة من الضرر للمجتمع. كرامة هذه المجموعات. يتصاعد حتى يصل إلى حالة من الاغتراب الديني والعزلة والحرمان من الحقوق على أسس دينية وعرقية ولغوية وثقافية (٣).

لكن يبدو أن ما حول التعددية القومية بالمجتمع العراقي، إلى أزمة هيكلية للنظام السياسي لم يكن قائماً على أطر متناغمة وقواعد مقبولة للعبة، بل على مخطط يقضي عليها (صفر)، لأن اللعبة تلغي الآخرين ولا تقبل منطق الإجماع. وقد أصبح هذا الطابع المتعدد الجنسيات حافزاً لصراع شامل. الدولة أو الأمة هي دولة بمعناها الحديث مع تقاليد الهوية من حيث القدرة على التعبئة الاجتماعية، فهي مجتمعات لم تكتمل بعد مشاريع البناء، وبالتالي فإن انعكاسها السياسي مدفوع بما يسمونه الانتماء الأساسي (٤).

نظراً لأن الانتقال من التعددية إلى الانفصال كان مرتبطاً بتكاليف اجتماعية باهظة للغاية، تم التعبير عنها في انهيار مفهوم المواطنة، وهي خسارة كبيرة أثرت على الأساس المنطقي لوجود دولة واحدة وتبرير دستوري، فقد ساهم ذلك في تعزيز التعددية العرقية لدرجة أن هذه التعددية أصبحت أحد العناصر الرئيسية التي تؤثر على تطور المجتمع. إن أهم أسباب الحروب

(١) الأحمدى، مظهرعزیز، التغيرات السياسية والاجتماعية في العراق بعد عام ٢٠٢٠. رسالة ماجستير غير

منشورة كلية القانون والعلوم السياسية الأكاديمية العربية المفتوحة، الدنمارك، ٢٠٠٣، ص ١٤٤.

(٢) الشمري، ناظم نواف، ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق وتداعياته العربية والإقليمية، المجلة السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، العدد ١٨، العراق، ٢٠١١، ص ٨.

(٣) الربيعي، علي حسن، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٤) حمد، ياسين مجد، عيسى، عبد الجبار، التعامل مع الأقليات في إطار إدارة التنوع "دراسة مقارنة بين العراق والهند"، المجلة السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، العدد ٢٤، العراق، ٢٠١٤، ص ٦.

والصراعات والنزاعات الطائفية في المجتمع العراقي يوقظها المحتلون عمدا لتأجيج الصراع بين مكونات الشعب العراقي بطرق مختلفة (١).

المطلب الثاني: دور الاقليات على تشكيل الانتماء الوطني

أزمة الهوية العراقية هي ، من بين أمور أخرى ، أزمة حرية ، أزمة وعي ، أزمة تفاهم وحوار مع الآخرين ، وبعبارة أخرى ، أزمة موقف مدني غير مشوه ، أزمة دولة لم تتضح ، أزمة النظام السياسي التي تتجاوز حقوق وإنسانية المواطنين(٢). الهوية العراقية ليست مسألة نسبة أقلية إلى أغلبية ، كما يصفها البعض ، بل هي قيمة كانت غائبة أو غير مستقرة لفترة طويلة. الهوية العراقية في أزمة مستمرة. أزمة الانتماء الوطني وأزمة الهوية الدينية ، أو بالأحرى الطائفية. ظهر ولا يزال موجودا. يقول العديد من العراقيين إنهم ليسوا عراقيين ، لكنهم يسمون أنفسهم بأسماء أخرى ، كما لو أنهم لا ينكرون هويتهم فقط، بل يلغون وجوده ايضا(٣).

منذ عام ١٩٢١ ، فشلت العراق في تشكيل انتماء وطني يلفت حوله مختلف طبقات الشعب ، ورفع شعار البلاد في أعظم فترة من تاريخ البلاد الحديث ، لكن هذه الهوية لا يمكن أن توحد العراقيين ، وتتنوع وتتعدد الأقليات في المجتمع ، أصبحت هذه المحاولات لفرض الانتماء الوطني عقبة أمام إقامة الانتماء الوطني في العراق ، وأصبحت التغييرات والقبول الطائفي منذ عام ٢٠٠٣ عقبة أمام إقامة الانتماء الوطني في العراق. أدى نظام الحصص إلى تعقيد القضية ، كما أن عدم وجود هوية وطنية شاملة يلقي بظلاله على الأوضاع السياسية والاجتماعي للبلاد(٤). ولعل الذين ينتبعون جذور قضية الهوية في المجتمع العراقي يعتقدون أنه حتى الآن ، ومنذ ظهور الدولة العراقية في عشرينيات القرن العشرين ، يكمن سبب الأزمة في غياب دولة واحدة يمكن أن تمثل هوية عراقية واحدة توحد كل القيم الوطنية والدينية وغيرها، يتم فيها ادماج التنوع اللغوي والعرقي(٥).

غالبا ما يفسر عدم الثقة في تفكك الهوية وضعف روح المواطنة بقلّة وعي المجتمع بهذا الأمر ، وضعف آلية الدفاع الجماعي وعدم القدرة على إقامة توازن بين الأنا والآخرين ، خاصة في أوقات الأزمات والتحديات المستقبلية ، كما في عام ٢٠٠٣. حيث مر العراق منذ ذلك الحين

(١) جاسم، عماد مؤيد ،التوزيع الاسترضائي للسلطات وأثره في الاستقرار السياسي في العراق ،المؤتمر السنوي الأول، كلية القانون والسياسة ،جامعة ديالى، ٢٠١٠. ص٧،

(٢) محمد، هيفاء أحمد، إشكالية الهوية الوطنية العراقية، مجلة دراسات دولية، جامعة بغداد، العدد ٥٣، العراق، ٢٠١٢، ص١٠.

(٣) مطر، سليم ، يقظة الهوية العراقية، ط١، مركز دراسات الأمة العراقية، جنيف، ٢٠١٠، ص٤١.

(٤) محمد، هيفاء أحمد محمد، مرجع سابق، ص٢.

(٥) محمد، أفرح جاسم، إشكالية الهوية في المجتمع العراقي، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد ١٦، العدد ٢، العراق، ٢٠١٣، ص١٨٢.

بفترة انتقالية صعبة ويواجه تحديات وردود فعل مختلفة ، فضلا عن مخاوف عميقة تتعلق بالخوف من الهوية ، فإن هذا يتجاوز الحديث عن أزمة الهوية وانقسامها. ولكن بما أن الخوف من الهوية هو نتيجة تجسيد للواقع الموضوعي والعلاقات الاجتماعية، التي تتداخل فيها عناصر الزمن التاريخي والموقع الجغرافي ، فإنه يشكل هياكل اجتماعية ذات مظاهر وخصائص مختلفة كان لها تأثير عميق على تكوين السمات الثقافية والشخصية في العراق ، وليس على أساس نفس الهوية(١).

ولا يمكننا أن ننكر أن التهميش الذي أضر بالطوائف والأقليات كان له أثر كبير على تعزيز هياكل هذه الطوائف والأقليات وتجنب أتباعها. هذه الهويات الفرعية تحل محل الانتماء الوطني التي كان ينبغي أن تتشكل من قبل جميع الأطراف ، بغض النظر عن العناصر العرقية أو الدينية ، ودخل العراق مرحلة خطيرة منذ عام ٢٠٠٣ بسبب الاحتلال وتدمير جميع البنى التحتية ، وتدمير المؤسسات القانونية والشرعية ، ووحدته الوطنية مهددة بالتفتت ، ووحدته الوطنية مهددة بالتفتت. اختفت الانتماء الوطني. دخلت الانتماء الوطني والدين والطوائف مرحلة الحرب الأهلية ، كما ساهمت القوى السياسية ذات الاتجاهات المختلفة في زعزعة الانتماء الوطني(٢).

وبالتالي ، فإن " قضية الهوية " في العراق لم تعد مرتبطة بالعناصر والقوى الداخلية ، فضلا عن العناصر والقوى الخارجية ، حيث أنه باستخدام معايير مختلفة في تحديد هوية الأقليات ومكونات المجتمع العراقي ، يمكن لكل مجموعة فرعية تحديد هويتها على حساب الانتماء الوطني. تظهر هذه المكونات انتمائها الديني (مسيحيون ، صابئون ، إيزيديون) ، وهو ما ينعكس في تحديد هوية أجزاء من هذه المكونات من خلال إظهار جنسيتها (الأكراد ، التركمان ، إلخ.) ، مما يجعلهم يثيرون شعورا بالولاء لهويتهم الفرعية. وقد انعكس ذلك في تحديد الجزء الآخر من الحدث.(٣).

وما يؤدي إلى "أزمة هوية" ، كحالة من التوتر والتمزق العاطفي ، هو وجود عدد من الجنسيات مثل الأكراد والأقليات العرقية الأخرى مثل التركمان والشبك ، لا يمنع تحديد هوية العراق ، فهو ليس افتراء على أحد أو انتهاك لحقوقه. الحقوق التي يجب صيانتها والالتزام بها بالكامل ليست

(١) الحيدري، إبراهيم، هل يبحث العراقيون عن هوية، جريدة الشرق الأوسط، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، العدد ٩٣١٩،٣ يونيو ٢٠٠٤، ص ٢١.

(٢) مهدي، حبيب صالح ، دراسة في مفهوم الهوية، مجلة دراسات إقليمية، جامعة الموصل، العدد ١٣، العراق، ٢٠٠٩، ص ٩.

(٣) مراد، علي عباس، إشكالية الهوية في العراق، الأصول والحلول، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٩٠، لبنان، آب ٢٠١١، ص ٩١.

هدية ، مثلا ، إيران جمهورية فارسية ، لكن الفرس لا يشكلون الأغلبية ، لكن هناك أكراد وباروك وعرب وأتراك.الأذربيجانيون وغيرهم ، وتركيا بلد الأناضول مع وجود أقليات عرقية كبيرة مثل الأكراد والأرمن والعرب ، كما في حالة العراق ، وفقا لمبادئ القانون الدولي وإعلان حقوق الأقليات العرقية لعام ١٩٩٢ ، وفقا للمعايير الدولية للحقوق الإنسانية(١).

عند وجود الانتماءات الفرعية يضعف مستوى الانتماء الوطني مما يعني ضعف البنية الدستورية والسياسية للدولة ، الأمر الذي يدفع "المواطن" بطريقة ما إلى الاعتقاد بأن وطنه ليس لجميع المواطنين، بل أن انتمائهم الضيق هو ساحة مفتوحة للربح والمنفعة ، بحيث لا يكون المواطن متدينا ، بل قوميا. أنا أسعى من أجل الانتماء. لأنها ، في رأيه ، قوة أقوى ولا تقهر من الانتماء إلى الدولة. إن التناقض والانسجام بين هذه التحالفات دون الولاء للدولة يخلق اختلالا يمكن أن يؤدي إلى الصراع بين هذه التحالفات والولاء ، مما يؤدي أحيانا إلى قيام إحدى المجموعات بحمل السلاح ضد الدولة ، وهذا ما نراه بوضوح في عراق ما بعد الاحتلال. وهكذا ، فإن أزمة الدولة العراقية من عام ١٩٢١ إلى يومنا هذا هي صورة واضحة مشتركة يمكن أن توحد كل تنوع الشعب العراقي ، اعتمادا على الدين والقومية والطائفة واللغة(٢).

الخاتمة

ناقشنا خلال السطور السابقة دور الأقليات في العراق منذ القرن التاسع عشر، وتبين أن قضية تعدد الهويات والانتماءات داخل المجتمع، كانت ولا تزال ظاهرة طبيعية في المجتمعات القديمة والحديثة، فإن القضية التي تستحق تحديدها وحلها تكمن في ميل هذه التعددية إلى السير في كثير من الأحيان على طريق العنف والرد على العنف ، أي في منطق "الحرب الأهلية" ، خاصة في حالة الضعف وانهايار السلطة ، عندما تنقض هذه الهياكل على بقايا السلطة ، تنشأ الفوضى والفراغ بينهما حتى يتم القضاء عليها وتقويضها.وفيما يلي اهم الاستنتاجات التي اتضحت من البحث:

- يعتمد عدد قليل من البلدان في العالم على مجتمعات دينية وعرقية ولغوية متجانسة ، ولكن على العكس من ذلك ، تعيش أقليات كبيرة في معظم دول العالم ، والتي تختلف عن الأغلبية في أصلها وثقافتها ودينها.

(١) شعبان، عبد الحسين، المشهد العراقي الراهن: الاحتلال وتوابعه في ضوء القانون الدولي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٧٩، لبنان، ٢٠٠٣، ص٦٣.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص١٤٨.

- إن العراق ليس بمنأى عن حقيقة أن البلد موطن لعدد كبير من الأقليات العرقية ، التي لعبت دورا هاما في بنية المجتمع العراقي وطريقة حياته وتنوعه.
- أصبح العراق من أكثر الوطن العربي كثافة سكانية مع المجموعات العرقية والأديان والطوائف القديمة والحديثة ، لذا فإن مجتمعه ، فسيفساء مجتمعه ، هو أحد بقايا الأسرة المملوكية من المنديسابيين والمسيحيين الأراميين السوريين والتركمانيين والأكراد والبهدانيين والأكراد السوريين-اللورالقوليين والبييض الشركسي. لقد أصبحت احد المجتمعات إشكالية وتعقيدا في المنطقة ، والتي تهيمن عليها الأغلبية العربية ، وهناك كاكاي ، كركاري ، معادان وشبك ، إلى جانب الأغلبية العربية ، هناك كاكاي ، كركاري ، معادان وشبك.توجد الطائفية بين الشيعة الجعفرين والسنة الحنفيين والشافعيين.....الخ.
- إن العنف الطائفي المستمر وعجز القيادة العراقية الحالية عن تحقيق الانتماء الوطني وخلق بيئة اجتماعية آمنة يهددان بتدمير السيفساء التي نشأت خلال هذا الوقت.تواجه الأقلية العراقية مستويات غير متكافئة من العنف وانعدام الأمن ، مما يهدد بإجبارها على مغادرة العراق والبقاء هناك إلى الأبد.
- الوضع المثالي لظهور أي دولة هو سمة المواطنين ذوي الانتماء والوحدة من حيث الجنس واللغة والدين والجنسية والتطلعات...الخ.نظرا لتوافق ممثلي نفس الأشخاص في كل هذه الصفات ، هناك احتمال كبير للاستقرار والانسجام ، ولكن نادرا ما يتم تحقيق مثل هذه المواقف ، ويظهر الواقع اختلاف ممثلي نفس الأشخاص في جميع أو معظم الجوانب المذكورة أعلاه، نتيجة لذلك ، في بعض الحالات ، تعني الصفات ظهور فئة أو فئة تختلف عن معظم الناس ، تسمى "الأقليات" مقارنة بمعظم الناس.
- ان التمايز الذي يعانيه الاقليات يؤدي إلى وجود قضية الأقلية كمعضلة حقيقية ذات جوانب سياسية وقانونية واجتماعية. إن وجود جماعات دينية أو طائفية أو إثنية معينة في بلادهم غالبا ما تنتظر إليه الدول على أنه تهديد لأمن دولهم ، وفي كثير من الحالات تكون هذه الأقليات بالفعل سببا لتهديد أمن هذه الدول ، مما أدى إلى مواجهة شرسة بأساليب مختلفة.
- يرتبط وجود الأقليات في المجتمع العراقي بتهديد أمن الدولة العراقية قديماً وحديثاً ، بجميع أنواع التهديد والجرائم ضد أمن الدولة. وترتبط هذه الأعمال بأوقات ضعف الحالة الوطنية كوجود احتلال أو ضعف إدارة الدولة. وقد ازدادت أحداث الفتنة والتهديد لأمن الدولة وتتابع وتواترت في الوقت المعاصر.

قائمة المراجع

- (١) أحمد ، صبيح ماجد عبد المنعم ، العرق البشري وطبيعة البنية الاجتماعية للمجتمع العراقي ، دار الحكمة للنشر ، المجلد ١ ، بغداد ، ٢٠١١ ، ص. ٢٥٠.

- (٢) الأحمدى ، مظهر عزيز ، التغيرات السياسية والاجتماعية في العراق بعد ٣٠٢٠. أطروحة ماجستير غير منشورة "كلية العراة الأكاديمية المفتوحة للقانون والعلوم السياسية" ، الدنمارك ، ٢٠٠٣ ، ص.١٤٤.
- (٣) أداموف الكسندر ، ولاية البصرة ، الترجمة في ماضيها وحاضرها. التكريتي ، مؤسسة هاشم صالح ، الجزء ٢ ، البصرة ، العراق ، ١٩٨٩ ، ص ١٤٠-١٥٠.
- (٤) إسحاق ، رافائيل بابوا ، "تاريخ المسيحيين في العراق" ، المجلد ١ ، مطبعة المنصور ، بغداد ، ١٩٤٨ ، ص.٥٦.
- (٥) اشسلبدوي، منذر عبد المجيد، جغرافية الأقليات الدينية في العراق ، مكتبة بغداد ، ١٩٩٩ ، ص.
- (٦) الأعظمي ، علي ظريف ، تاريخ موجز لبغداد ، مكتبة بغداد ، ١٩٢٦ ، ص. ٣٠.
- (٧) البديري، أياد عايد والي، تحليل البنية الإثنوغرافية للسكان العراقيين وتأثيرها على بناء واستقرار الدولة ، مجلة القادسية الإنسانية ، جامعة القادسية ، المجلد ١٣. رقم ١... العراق ، ٢٠١٠ ، ص .
- (٨) بطاطو، حنا، العراق: الطبقة الاجتماعية والحركات الثورية من الإمبراطورية العثمانية إلى تأسيس الجمهورية ، بيروت ، مؤسسة البحوث العربية ، ج ١ ، ط ١ ، ١٩٩٠ ، ص. ٣١.
- (٩) بطاطو، حنا، الطبقة الاجتماعية في العراق والحركة الثورية من الإمبراطورية العثمانية إلى تأسيس الجمهورية " الترجمة: عفيف الرزاز. أولا ١ ، مؤسسة الأغنية للأبحاث ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ٣١.
- (١٠) بكة ، سوسن تامرخان ، الجرائم ضد الإنسانية في ضوء أحكام النظام السياسي للمحكمة الجنائية الدولية ، منشورات الحلبي لحقوق الإنسان ، لبنان ، ٢٠٠٦ ، ص ٤٩٨.
- (١١) باكنغهام ، جيمس ، "رحلتي إلى العراق" ، ترجمة. التكريتي ، سليم طه ، ص ٢ ، مكتبة بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ١٣٦-١٣٧.
- (١٢) جاسم ، عماد مؤيد ، "التوزيع المتوازن للسلطة وتأثيرها على الوضع السياسي في العراق" ، المؤتمر السنوي الأول ، كلية الحقوق والسياسة ، جامعة ديالى ، ٢٠١٠. الصفحة ٧،
- (١٣) حجازي ، عبد الفتاح بيومي ، المحكمة الجنائية الدولية ، دار نشر الفكر الجامعي، مصر ، ٢٠٠٥ ، ص. ٣٤٥.
- (١٤) حمد ، ياسين مجد ، عيسى ، عبد الجبار ، العمل مع الأقليات في إطار الإدارة التطوعية "دراسة مقارنة بين العراق والهند" ، المجلة السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، العدد ٢٤ ، العراق ٢٠١٤ ، ص ٦.

- (١٥) حمو ، طارق ، الأقليات الدينية في العراق في الدستور العراقي الجديد ، مجلة الحوار المدني ، العدد ١٨٦١ ، العراق ، ٢٠٠٧ .
- (١٦) حنا ، أطلال سالم ، صور الأقليات الدينية في كتابات الأوروبيين في الفترة العثمانية ، مصر والعراق كنماذج يحتذى بها ، مجلة تاريخية ، جامعة البصرة - كلية التربية للبنات ، ٢٠٢٢ ، ص ٢٠٩-٢٤٢
- (١٧) الحيدري ، إبراهيم ، عراقيون يبحثون عن الهوية الذاتية ، صحيفة الشرق الأوسط ، الشركة السعودية للأبحاث والنشر ، العدد ٩٣١٩ ، ٣ يونيو / حزيران ٢٠٠٤ ، ص ٢١ .
- (١٨) الحيدري ، عباس ، الحسيني ، رعد ، القبيلة الزيدية في العراق والشام في القرنين ٥ و ٦: دراسة عوامل التراجع ، مجلة الكوفة للفنون ، (٥٢) ، ٢٠٢٢-٦ ، ص ٥٧٩
- (١٩) الخيون ، رشيد ، دين وطوائف العراق ، مكتبة بغداد ، ١٩٩٥ ، ص ١٣٤-١٧٢ .
- (٢٠) دراور ، سيدة ، صابئة المنذائين ، ترجمة بدري ، نعيم. الرومي ، "الغضب ٢" ، مكتبة بغداد ، ١٩٨٧ ، ص .
- (٢١) الربيعي ، علي حسن ، مشاكل بناء الدولة في العراق ، "النضال من أجل الهوية ومأزق المحاصصة الطائفية" ، مجلة المستقبل العربي. مركز دراسة "الوحدة غير المقنعة" ، العدد ٣٣٧ ، لبنان ، ٢٠٠٧/٣
- (٢٢) سلوم، سعد، الاقليات في العراق الذاكرة الهوية التحديات، ط ١ ، مكتبة بغداد، ٢٠١٣، ص٣٩ .
- (٢٣) سوسة، احمد، ملامح من تاريخ العراق القديم ، مكتبة بغداد، العراق، ١٩٦٠، ص٩٤ .
- (٢٤) سوسة، احمد، ملامح من تاريخ القديم ليهود العراق، ط ٢ ، بيروت، ٢٠٠١، ص٧٦ .
- (٢٥) شعبان، عبد الحسين، المشهد العراقي الراهن: الاحتلال وتوابعه في ضوء القانون الدولي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٧٩، لبنان، ٢٠٠٣، ص٦٣ .
- (٢٦) الشمري، ناظم نواف، ظاهرة عدم استقرار الاوضاع السياسية في العراق وتداعياته العربية والاقليمية، المجلة السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، العدد ١٨ العراق، ٢٠١١، ص٨
- (٢٧) صالح، زكي، موجز تاريخ العراق، ط ١، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٤٩، ص٦٦ .
- (٢٨) عبد السلام، غادة مهدي، اليهود في العراق ١٨٥٦-١٩٢٠، ط ١ ، مكتبة المعارف، القاهرة ، ٢٠٠٨ ، ص ٤٥ .
- (٢٩) عبد العاطي، صلاح، الاقليات وحقوق الانسان في المجتمع الدولي، مقال في الحوار المتخذة، عدد ٩ ، ٢٠٠٩ ، ص١٧

- (٣٠) عبد العليم محمود عبد النعيم يوسف، عقيدة الصابئة المندائية "دراسة تحليلية"، مجلة البيان دراسات قنا ، المجلد ١٩، العدد ١، ٢٠٢٢، ص١٦٣-٢٠٩
- (٣١) عز الدين، يوسف، داود باشا ونهاية حكم المماليك في العراق ، مكتبة بغداد، ١٩٦٧، ص ١٢-٣٠.
- (٣٢) العساف، فايز عبدالله، الاقليات واثرها في استقرار الدولة القومية: اكراد العراق نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الاوسط، الاردن، ٢٠١٠، ص٤٦
- (٣٣) علي طاهر الحمود، تركمان العراق: قلق الهوية والاندماج، مؤسسة فريديش، إيبرت، عمان، ٢٠٢١، ص١٦-١٨
- (٣٤) علي، لقمان عثمان احمد، حقوق الانسان بين العالمية والخصوصية (الخطاب الاسلامي انموذجا)، رسالة ماجستير جامعة الموصل، ٢٠٠٣، ص ١١٧-١١٨
- (٣٥) فائق، سليمان، تاريخ بغداد، ترجمة. نورس، موسى كاظم، بغداد، ١٩٦٢م، ص ٩٤-٤٨.
- (٣٦) كوريه، يعقوب يوسف، يهود العراق، تاريخهم، احوالهم، هجرتهم، ط ١، الدار الاهلية للطباعة، عمان، ١٩٩٨، ص٨٧.
- (٣٧) المادة (٢) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان سنة ١٩٨٤، والمادة (٢٦) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لسنة ١٩٦٦
- (٣٨) المادة(٢/ثانيا) من الدستور العراقي النافذ لسنة ٢٠٠٥.
- (٣٩) محمد، أفراح جاسم، إشكالية الهوية في المجتمع العراقي، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد ١٦، العدد ٢، العراق، ٢٠١٣، ص ١٨٢ .
- (٤٠) محمد، هيفاء أحمد، إشكالية الهوية العراقية، مجلة دراسات دولية، جامعة بغداد، العدد ٥٣، العراق، ٢٠١٢، ص ١٠.
- (٤١) مراد، علي عباس، إشكالية الهوية في العراق، الأصول والحلول، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٩٠، لبنان، آب ٢٠١١، ص ٩١ .
- (٤٢) مطر، سليم ، يقظة الهوية العراقية، ط ١، مركز دراسات الأمة العراقية، جنيف، ٢٠١٠، ص٤١.
- (٤٣) مهدي، حبيب صالح ، دراسة في مفهوم الهوية، مجلة دراسات إقليمية، جامعة الموصل، العدد ١٣، العراق، ٢٠٠٩، ص ٩ .
- (٤٤) ناجي، زيد عدنان، اقلية العراق في العهد الملكي، درا الزافدين للطباعة، بيروت، ٢٠١٥، ص ٢١-٤٠.

- ٤٥) نصت المادة (٢٢١) من اتفاقية الاشخاص المنتمين الى اقلية قومية اثنية والى اقلية دينية ولغوية لسنة ١٩٩٢.
- ٤٦) نصت المادة (٤/٤) اولاً : اللغة العربية واللغة الكردية هما اللغتان الرسميتان للعراق
- ٤٧) نظمي، وميض جمال عمر، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٩٨٥، ص١١٩ .
- ٤٨) نوار، عبد العزيز سليمان، داود باشا والي بغداد ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص٤٨-٥٥.
- ٤٩) النوري، قيس، اثنيات واقلية العالم : رؤى اثروبولوجية دراسة في مشكلات الاثنيات والاقليات في العراق، بيت الحكمة للنشر، ط١، العراق، ٢٠١٢، ص٢٥.
- ٥٠) يوسف، اسماء جابر احمد، حقوق الاقلية المسلمة في اسيا عن الموثيق الدولية ومعطيات الواقع، مكتبة الوفاء للنشر، مصر ، ٢٠١٠، ص١٢٧.